2 ـ الثنائيات اللسانيات

للدكتور الراجي الهاشمي

بقلم : أحمد منجي

كتاب جديد يحمل الرقم ثلاثة فى سلسلة الدراسات اللغوية التى يصدرها الاستاذ الدكتور النهامى الراجى الهاشمى .

الكتاب عبارة عن محاضرات القاها الاستاذ النهامى الراجى فى كلية الآداب بالرباط .

يتكون الكتاب من ستة فصول :

موضوع الفصل الاول : الثنائيات المستعملة فى اللسانيات الحديثة . اما الفصل الثانى فمخصص للثنائية : لغة / كلام . والفصل الثالث لـ : « تزامنى تاريخى » . والفصل الرابع لـ « كفاءة / نشاطية ». والفصل الخامس ، يبحث فى البنية العميقة والبنية السطحية فى الدلالة التوليدية وعلاقتها بالثنائية : لغة/ خطاب . اما الفصل السادس والاخير فقد بحث فيه المؤلف قضية : اللغة / خطاب فى مدرسة لسانيات الموقف التى يتزعمها كوسطاف كيوم والتى يطبق فيها المنهج العلمى المعروف بـ « النفسى الآلى للحديث » ولقد اعطى الدكتور النهامى الراجى فى آخر مؤلفه لائحة بالمصطلحات العلمية التى عربها فى هذا الجزء.

ومعلوم ان الدكتور النهامى الراجى المتخصص فى اللسانيات الحديثة وفى القراءات القرآنية يعمل جاهدا بواسطة هذه السلسلة على التعريف بالنشاط اللسانى الحديث بمدارسه المختلفة فى الغرب والشرق، ولكنه يحرص كل الحرص على ربط هذا الدرس اللغوى الحديث الذى يجب ، فى نظره ان يحتل مكانة مرموقة فى الجامعات العربية ، بالنشاط الفيلولوجى عند العرب .

يقول ذلك بصريح العبارة فى مقدمته لهذا الكتاب ويطبقه بامثلة كثيرة داخل الكتاب . يقول فى المقدمة : « سيلاحظ القارىء الكريم اننى ، وكما واعدت فى العددين السابقين حاولت ان امزج بين نظريات من النشاط الفيلولوجى القديم وبين نظريات من الدرس اللغوى الحديث . فاديت الاولى بقدر المستطاع ، واخضعت الثانية لتاموس اللغة العربية . ولم ارد ان ارتمى ، فى لحظة واحدة فى احضان نظريات حديثة، براقة جدا من النشاط السيميولوجى ، خوفا من ان اسىء الى اللغة العربية واهلها الذين لم يتصلوا بعد ، بالقدر الذى فيه الكفاية ، بهذا النوع من البحث ، ولكننى اعمل جادا فى تهييء هذا الاتصال الذى ارجو ان يكون

سريعا وموفقا بفضل الجميع » .

وهو يطبق هذه الاطروحة التي عرضها بحماس في العددين الأول والثاني من هذه السلسلة حتى على آرقى النظريات الحديثة المتضاربة مثل : كفاءة / نشاطية أو لغة / خطاب ، بدءا من اللسانيين التقليديين الى التوليديين مرورا بلسانيات الموقف وغيرها وهو في هذا الفصل ، مثلا ، وهو الفصل الرابع يصحب هذه النظريات المعقدة بالامثلة العربية الكثيرة وبرسوم بيانية توضحها كاحسن ما يكون التوضيح .

ويعجبنا في المؤلف بعده عن التعصب لاطروحاته، وكم كان ينبهنا حين كنا طلابا عنده في السلك الثالث الى التحلي بالروح العلمية وكان يقول لنا ، بعد أن يشرح لنا النظرية من جميع جوانبها الى ان تصبح عندنا مسلمة ، واضحة لا غبار عليها : يجب ان نعلم الآن عنها كل شيء ونحيها ونعرف تطبيقاتها ، لكنه يجب ان نكون دوما مستعدين للتنازل عنها ان بدا عيب فيها او منهج ارقى منها يتسم بسمات اكثر شمولا واعمق غورا . واشد ما يبغضه ان يكره الطلبة على تقبل نظرياته ، كان يقول لنا : « على ان ابين ، باحاطة ، ان استطعت ، وعليكم ان تختاروا الاتجاه الذي اقتنعتم به » . يشير الى هذا في مقدمة الكتاب فيقول : وسيلاحظ القارىء الكريم ايضا اننى اطلت الحديث عن الثنائية : لغة / كلام ، ذاكرا كل التيارات المعروفة الآن في الباب ، دون ان انحيز لاحداها وان كنت افضل في قرارة نفسي واحدة من بينها على جميعها ، علما مني انه يحسن بنا نحن الباحثين الا نوجه ، على الأقل ، في دروسنا الجامعية، الطالب الى منهج معين في الدرس اللغوي نرتضيه ، بل واجبنا ان نشرحها جميعها ، وللطالب ، بعد ذلك، ان يختار الرشد من الغي على بينة واقتناع .

وكم هو عزيز عليه التريث في هذا البحث اللساني الذي غزانا دون ان نستعد له كما يجب .

كان يقول لنا : عذرنا اننا كنا غير مستعدين لتقبله ، لكن ، اصبح الآن من أقدس المقدسات ان نشمر عن ساق الجد ، فندرسه كله ، دون استثناء، وندخله في نشاطنا ، كما ادخله غيرنا غير مشوه ولا ناقص ، ونسهر على ترقيته كما يسهرون ، وتوسع ميدان تطبيقه كما يفعلون . ولكن كل ذلك مع الحفاظ على كل ما يمكن الحفاظ عليه من تراثنا اللغوي الملائم للعصر ومتطلباته .

يقول في مقدمته لكتاب « الثنائيات اللسانية : وليس المهم ان نلحق بهم على الفور ، وانما المهم ان نلحق بهم ونزادنا معنا ، ان نلحق بهم ونحن من نحن ، عرب نهوى البحث العلمي ونعمل على نشره ، صافيا نزيها منزها عن كل غرض . المهم ان نلحق بهم وقد اوسعنا المناهج الحديثة في الدرس اللغوي بحثا ووعينا ما تركه لنا الاجداد وعيا يؤهلنا للتمييز بين جيده ورديئه ، غثه وسمينه . بذلك فقط نتمكن من المشاركة بنصيبنا في ازدهار هذا العلم من جديد ، علم تقاعسنا عنه وتركناه لمن لا يرحم يعبث به كما طاب له .

اما اجتهاداته التي كان مبتكرا حقا فيها ، فهي كثيرة في هذا الكتاب وما نعتقد ان احدا من الدارسين سيكون في حاجة الى مرجع آخر لمعرفة كل ما يتعلق بالثنائيات الحديثة التي يتيه فيها الكثير . امر واحد يمكن أن نؤاخذ الدكتور التهامي الراجي عليه هو انه لم يثبت في هذا العدد الثالث المصطلحات المعربة في العددين السابقين . اذ سيكون من الصعب على قارئه الرجوع دائما الى صفحات العددين يقلبها كلها للعثور على مبتغاه .. ورجاؤنا ان يتدارك هذا في احد اعداده المقبلة .